﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾ [الأعراف: 195]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بيانُ أنَّ الأصنامَ أَحَطُّ مَنْزِلَةً من عابديها وأحقر شأنًا من مُعظِّميها

لمَّا أثبت الله ﷻ عجزَ الأوثانِ، وأنَّهم أمثالُ عابديهم في الخَلق؛ دلَّ عليه وعلى أنَّهم دونهم في هذه الآية[1]، وتكون هذه الآيةُ تنزيلًا لهم عن مقامِ المُماثلةِ إلى ما دونها؛ إذ المشركون في الخلقِ والتَّكوين أكملُ وأعلى، فكيف يَعْبُدُ الأعلى من هو أدنى منه مقامًا، وأقربُ منه إلى الإكرام[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَبْطِشُونَ﴾: منَ البطشِ: تناوُلُ الشَّيءِ بِصَولةٍ، يُقال: يدٌ باطشةٌ، وأصلُه: أخذُ الشَّيءِ بقَهرٍ وغَلَبةٍ وقوَّةٍ[3]، والمعنى هنا: يعطونَ بها، ويمنعون عنكم الضُّرَّ.

2) ﴿كِيدُونِ﴾: مِنَ الكيدِ: ضَربٌ من الاحتيالِ، وقد يكون مذمومًا وممدوحًا، وإن كان يُستعمَل في المذموم أكثرَ، وأصلُ الكيد يَدُلُّ على مُعالجة لشيءٍ بِشدَّة[4]، والمعنى هنا: دَبِّروا لي، وأعلنوا الحرب.

3) ﴿تُنظِرُونِ﴾: من الإنظارِ، بمعنى الإمهالِ، أي: تُؤخِّرونِ، والنَّظَرُ: الانْتِظَارُ، يُقال: نَظَرتُه، وانتظَرتُه وأنْظَرتُه انتظارًا، أي: أخَّرْتُه[5].

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 196/8.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3036/6.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: 262/1، والرّاغب، المفردات، ص: 129.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: 149/5.
(5) السجستاني، غريب القرآن، ص: 106، والرّاغب، المفردات، ص: 813، وابن الهائم، التبيان، ص: 231.

وأَصْلُ (نَظَرَ) يدلُّ على تأمُّلِ الشَّيْءِ ومعاينتِه، والنَّظِرَةُ: التَّأْخيرُ في الْأَمْرِ، ويُقالُ: نَظَرْتُهُ، أي: انْتَظَرْتُهُ[1]، والمعنى هُنا: فَلاَ تُمْهِلُونِي سَاعَةً، وَاعْجَلُوا فِي كيدي[2].

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

ألهؤلاءِ الأصنام الذين اتَّخذتموهم آلهةً أرجلٌ يسعَوْن بها معكم في حوائجِكم؟ أم لهم أيدٍ يدفعون بها عنكم، وينصرونكم على من يريد بكم شرًّا ومكروهًا؟ أم لهم أعينٌ ينظرون بها، فيعرِّفونكم ما عاينوا وأبصروا ممَّا يغيب عنكم، فلا ترونه؟ أم لهم آذانٌ يسمعون بها، فيخبرونكم بما لم تسمعوه؟ فإن كانت معطَّلةً من ذلك كلِّه، فكيف تعبدونها رجاءَ جلْبِ نفعٍ أو دفْعِ ضرٍّ؟ قل - أيُّها الرسول ﷺ - لهؤلاء المشركين: نادوا من ساوَيْتموهم باللّه، ثم احتالوا لِضرِّي ولا تمهلوني[3].

هـذه الأصـنـامُ أقلُّ من عابديها في الـخَـلـق والـتَّـكـويـن وعـاجـزةٌ عن التَّصرُّفِ تمامَ العجز

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

نكتةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

كلامٌ مُستأنَفٌ بمنزلةِ التَّوبيخ لهم على عقولهم القاصرة[4]، وهو تبكيتٌ إثرَ كلامٍ مؤكَّدٍ لما يفيده الأمر التَّعجيزي من عدم الاستجابة ببيانِ فقدانِ آلاتها بالكليَّة، وقيل: إنَّه على الاحتمال في المُماثلة كرَّ على المثليَّة بالنَّقضِ؛ لأنَّهم أَدْوَنُ منهم، وعبادةُ الشَّخص من هو مثلُهُ لا تليق، فكيف بمن هو دونه[5]؟

تقريعٌ مُوَجَّهٌ الى الوجدان في إثرِ احتجاجٍ وُجِّهَ قبلَه إلى الجَنان

(1) ابن دريد، جمهرة اللّغة (رظن)، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّبيديّ، تاج العروس، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (نظر)، وابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 99، وابن الهائم، التّبيان في تفسير غريب القرآن، ص: 117.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 317/2.

(3) نُخبة من أساتذة التَّفسير، التفسير الميسّر: 175/1، ومجموعة من المؤلفين، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 239.

(4) درويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 513/3.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 306/3، والآلوسيّ، روح المعاني: 135/5.

فلمَّا أثبت عجزهم، وأنَّهم أمثالهم؛ دلَّ عليه وعلى أنَّهم دونهم بأسلوب إنكارٍ وتعجيب مُفَصِّلًا لبعض ما نفاهُ عنهم[1].

بلاغةُ الاستفهامِ وغرضُه:

الاستفهامُ في ﴿أَلَهُمْ﴾ وما بَعدَه إنكاريٌّ[2]، للتَّقريع والتَّوبيخ، أي: هؤلاء الذين جعلتموهم شركاءَ ليس لهم شيءٌ من الآلاتِ التي هي ثابتةٌ لكم، فَضْلًا عن أن يكونوا قادرين على ما تطلبونه منهم، فإنَّهم - كما ترون - هذه الأصنامُ التي تَعْكِفُون على عبادتها ليست لهم أرجل يمشون بها في نفْعِ أنفسهم، فضلًا عن أن يمشوا في نفْعِكم، وليس لهم أَيْدٍ يبطشون بها، كما يبطش غيرُهم مِنَ الأحياء، وليس لهم أعينٌ يُبصرونَ بها، كما تبصرون، وليس لهم آذانٌ يسمعون بها، كما تسمعون، فكيف تدعون من هم على هذه الصِّفة من سَلْبِ الأدواتِ وبهذه المنزلة من العجز[3].

التَّوبيخُ والتَّبكيتُ للدَّلالة على كون الأصنام أدونَ من عابديها

فالاستفهامُ فيه للإنكار، وهو خاصٌّ بالأصنام والأوثان، ومعناه: أنَّهم لفقدِهم لجوارح الكسب التي يُناط بها في عالم الأسبابِ النَّفع والضُّر، قد هبطوا عن درجة مُماثلتكم من كلِّ وجه، فأنتم تَفْضُلونَهُمْ في الصِّفات والقِوى التي أودعها اللّٰه في الخَلق، فلماذا ترفعونهم عن مُماثلتكم، وهم بدليل المشاهدةِ والاختبارِ دونكم؟ وها أنتم أولاءِ تستكبرونَ عَن قَبول الهُدى والرَّشاد منَ الرَّسول، وتُعَلِّلون ذلك بأنَّه بشرٌ مثلكم، فيقول بعضكم لبعض: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ۝٣٣ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ۝٣٤﴾ [المؤمنون: 33-34]، فتأبونَ قَبولَ الحقِّ والخير من مثلكم، وقد فضَّلَه اللّٰهُ بالعلم والهدى عليكم، وهو لا يستذلُّكم بادِّعاء أنَّهُ

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 196/8.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 222/9.
(3) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن: 635/2.

ربُّكم أو إلهكم، ثُمَّ ترفعون ما دونه ودونكم إلى مقام الألوهيَّةِ، مع انحطاطهِ وتَسَفُّلِه عن هذه المثليَّة[1]؟

فائدةُ تقديمِ المسند ﴿أَلَهُمْ﴾ على المسند إليه:

بيانُ انتفاءِ المُلْك

تقديمُ المُسند على المُسْنَد إليه للاهتمام بانتفاء المُلك الذي دلَّت عليه اللام[2].

نكتةُ تنكيرِ الأرجلِ والأيد والأعين والآذان:

بيانُ تأتِّي الإنكارِ للأوصاف دون الحقيقةِ بأنَّها ليست بأرجلٍ على الحقيقة

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ وَصْفُ الأرجلِ بالمشي للإيذان بأنَّ المُنكر هو الوصفُ بناءً على أنَّ محطَّ الفائدة هو القيدُ في الإثبات والنَّفي والإنكار والتَّقرير ما لم يُوجَد صارفٌ عنه، ويُستفاد منه أنَّ أرجلَهم حيث لم يظهر منها ما يظهر من سائرِ الأرجلِ ليست بأرجلٍ في الحقيقة، وكذا الكلامُ في الجوارح الثَّلاثةِ الباقيةِ، بأن يُقالَ: أيمشون بأرجلِهم لتَحْقيقِ أنَّها ليست بأرجلٍ في الحقيقةِ للعلَّةِ المذكورة[3].

سِرُّ اختيارِ الجملة الاسميَّةِ دون الفعليَّة في ﴿أَرْجُلٌ يَمْشُونَ﴾:

بيانُ استمرارِ انتفاء هذه الأوصاف على سبيل الدَّوامِ والاستمرار

وإنَّما اختيرَ في النَّظم الجملةُ الاسميَّة؛ لأنَّها لدلالتها على الدَّوام والثَّبات تُفيد أنَّ ثبوت هذه الحال أو انْتِفاءَها أمرٌ مُسْتَمِرٌّ لا حادث[4].

فائدةُ توجيهِ الإنكارِ إلى كُلِّ واحدةٍ من هذه الجوارح الأربعة:

تكريرُ التَّكبيتِ والتَّقريع إشعارٌ بأنَّ انتفاءَ واحدةٍ منها كافٍ في الدَّلالة على عجزها

وُجِّهَ الإنكارُ إلى كُلِّ واحدةٍ من هذه الآلاتِ الأربعِ على حِدَةٍ؛ تكريرًا للتَّبكيتِ، وتثنيةً للتَّقريعِ، إشعارًا بأنَّ انتفاءَ كلِّ واحدةٍ منها بِحِيالِها كافٍ في الدَّلالةِ على استحالةِ الاستجابة[5].

(1) محمد رضا، تفسير المنار: 529/9.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 222/9.
(3) القونوي، حاشيته القونوي على تفسير الإمام البيضاوي: 577/8، والآلوسيّ، روح المعاني: 135/5.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير الإمام البيضاوي: 577/8.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 306/3.

دلالاتُ وصف الجوارح الأربعة:

تسجيلُ العجزِ عليهم فيما يحتاج إليه النَّاصرُ وكَوْنُ أعضائِها عديمةَ النَّفع

وصفُ الأرجل بـ ﴿يَمْشُونَ﴾ والأيدي بـ ﴿يَبْطِشُونَ﴾ والأعين بـ ﴿يُبْصِرُونَ﴾ والآذان بـ ﴿يَسْمَعُونَ﴾ إمَّا لزيادة تسجيل العجزِ عليهم فيما يحتاج إليه النَّاصرُ، وإمَّا لأنَّ بعض تلك الأصنام كانت مجعولةً على صور الآدميِّين مثل هُبَلَ، وذي الكفَّين، وكُعيبٍ في صور الرِّجال، ومثل سُواعٍ كان على صورةِ امرأة، فإذا كان لأمثال أولئك صورُ أرجلٍ وأيد وأعين وآذان، فإنَّها عديمة العمل الذي تختصُّ به الجوارح، فلا يَطمع طامعٌ في نصرها[1]، فالمراد بهذه الأشياء نفيُ الأفعال دون الأعضاء، كما تقول لضعيفٍ: ألك بدنٌ يحتمل هذا الثِّقَل؟ أو مَعِدَةٌ تحتمل هذا الطَّعامَ؟[2].

معنى (أم) في المواضع الثَّلاثة:

قصدُ معنى (بل) الانتقاليَّةِ

(أم): حرفٌ بمعنى (أو) يختصُّ بعطف الاستفهام، وهي تكون مثل (أو) لأحد الشَّيئين أو الأشياء، وللتَّمييز بين الأشياء، أو الإباحة، أي: الجمع بينها، فإذا وقعت بعد همزةِ الاستفهام المطلوبِ بها التَّعيينُ كانت مثل (أو) التي للتَّخيير، كقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يونس: 59]، أي: عيِّنوا أحدهما، وإن وقعت بعد استفهام غيرِ حقيقي كانت بمعنى (أو) التي للإباحة، وتُسمَّى حينئذٍ مُنقطعةً، ولذلك يقولون: إنَّها بمعنى (بل) الانتقاليَّة، وعلى كل حالٍ، فهي مُلازمةٌ لمعنى الاستفهام، فكلَّما وقعت في الكلام؛ قُدِّر بعدَها استفهامٌ، فالتَّقدير هُنا، بل ألهم أيدٍ يبطشون بها؟ بل ألهم أعينٌ يُبصرون بها؟ بل ألهم آذان يسمعون بها[3]؟

بديعُ المقابلة في ذكْرِ الأيدي مُقابِلَةً للأرجل والأسماع مقابلَ الأبصارِ:

في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾، أي: بل ألهم أيدٍ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 222/9.
(2) الجرجاني، درج الدُّرر: 717/1.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 222/9.

بـيـانُ كَـوْنِ المقابلة بين هذه الأعضاء أظهرَ في التَّبكيت

يأخذون بها ما يريدون، أو يدفعون بها عنكم؟ وتأخير هذا عمَّا قبلَهُ لِما أنَّ المشي حالُهم في أنفسهم، والبَطْشُ حالهم بالنِّسبة إلى الآخرين، وأمَّا تقديمُ ذلك على قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ مع أنَّ الكُلَّ سواءٌ في أنَّها من أحوالهم بالنِّسبة إلى الآخرين، فلمُراعاة المقابلة بين الأيدي والأرجل، ولأنَّ انتفاءَ المشي والبطش أظهرُ، والتَّبْكيت به أقوى[1].

سرُّ وصفِ معبوداتِهم بأوصاف العقلاء:

التَّـعـبـيرُ عنها وفـق اعـتـقـادِ عُبَّادها تسفيهًا لعقولِهم

ذكرَها اللهُ ﷻ بالتَّعبيرات التي يُذكرُ بها الأحياءُ العُقلاء مُسايرة لعُبَّادها، (يمشون، يبطشون، يبصرون، يسمعون)، ولولا هذه المُسايرةُ؛ لكان الحديثُ عنها، كما يلي: (ألها أرجلٌ تمشي بها؟ أم لها أيدٍ تبطش بها؟ أم لها أعينٌ تبصر بها؟).

بلاغةُ ترتيبِ الجوارح الأربعة:

بيانُ أنَّ التَّرتيبَ كـان بـطـريـق الـتَّرقِّي بحسب الأهـمِّـيَّـة والغرض

وترتيبُ هذه الجوارحِ الأربع على حسب ما في الآية ملحوظٌ فيه أهميَّتُها بحسب الغرض، الذي هو النَّصرُ والنَّجدة، فإنَّ الرِّجلين تُسرعان إلى الصَّريخ، واليدين تعملان عملَ النَّصر وهو الطَّعن والضَّرب، وأمَّا الأعينُ والآذان؛ فإنَّهما وسيلتان لذلك كُلِّه، فَأُخِّرا، وإنَّما قَدَّم ذكر الأعين هُنا على خلاف معتاد القرآن في تقديم السَّمع على البصر؛ لأنَّ التَّرتيبَ هنا كان بطريق التَّرقي[2].

فلمَّا كان المخشيُّ بعد الانتقال مدَّ اليدِ، قال: ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ﴾ أي: موصوفة بأنَّهم ﴿يَبْطِشُونَ بِهَآ﴾ أي: نوعًا من البطشِ، ولمَّا كان المخوفُ بعد البطشِ باليد البصرَ خوفًا من الدَّلالة قال: ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ﴾. أي: منعوتةٌ بأنَّهم ﴿يُبْصِرُونَ بِهَآ﴾ أي: ضربًا من الإبصار؛ ولما كان الإنسانُ ربَّما خاف ممَّا يقصدُ ضرَّهُ، فتغيب عنه، فلا يصل

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 135/5.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223/9.

إليه بعد ذلك إلا بالسَّمع قال خاتمًا: ﴿أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ﴾، أي: مقولٌ فيها أنَّهم ﴿يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ أي: شيئًا من السَّمع[1].

دلالةُ تخصيصِ الأرجل والأيدي والأعين والآذان بالذِّكر دون اللِّسان:

بيانُ كونِها آلاتِ العلم والسَّعي والدَّفع للنَّصر

خَصَّ الأرجلَ والأيدي والأعين والآذان؛ لأنَّها آلاتُ العلم والسَّعي والدَّفع للنَّصر، ولهذا لم يذكر الألسن لما عُلِمَ من أنَّ الاستجابةَ مُرادٌ بها النَّجدةُ والنُّصرة، ولم يكونوا يسألون عن سببِ الاستنجاد، ولكنَّهم يسرعون إلى الالتحاق بالمستنجد[2].

نكتةُ فصلِ جملة ﴿قُلِ ٱدْعُواْ﴾ عن سابقاتِهَا:

بيانُ الإذنِ من الله تعالى لنبيِّه في تحدِّيهم

قوله تعالى: ﴿قُلِ﴾ إذنٌ من الله لرسوله بأن يتحدَّاهم بأنَّهم إنِ استطاعوا؛ استصرخوا أصنامَهم لتتألَّب على الكيد للرَّسول ﷺ والمعنى: ادعوا شركاءكم؛ لينصروكم عليَّ، فتستريحوا مِنّي[3]، فكأنَّ سائلًا سألَ ماذا يُرادُ بعد كلِّ هذا التَّعجيزِ للمشركين، وبيان عجز أصنامِهم، فجاءَ هذا الأمرُ إتمامًا للتَّحدِّي وقطعًا للحُجَّة.

دلالةُ توجيهِ الخطاب إلى النَّبيِّ ﷺ بفعل الأمر: ﴿قُلِ﴾:

تأنيسُ النَّبيِّ ﷺ بالخطابِ تقويةً له ولحُجَّتِهِ

جاء الخطاب موجَّهًا للنَّبيِّ ﷺ بأمر بالقول؛ لأنَّهم لمَّا قُرِّعوا، وتُحُدّوا بعبادةِ من لا يملك ضَرًّا ولا نفعًا؛ قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: (قُلْ: إنَّ معبودي يملك الضُّرَّ والنَّفع، فلو اجتهدتم في كيدي؛ لم تصلوا إلى ضرِّي؛ لأنَّ اللهَ يدفعُ عنِّي)، قال الحسن: "كانوا يخوِّفونه بآلهتهم"، فقال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾[4].

دلالةُ توالي الأمرين في ﴿قُلِ ٱدْعُواْ﴾:

إظهارُ كمالِ التَّحدِّي وتمامِ الاحتجاجِ بما لا يُمكن دفعُه وردُّه

﴿قُلِ ٱدْعُواْ﴾ أي: قل أيُّها الرَّسول الكريمُ لهؤلاءِ الذين هَبَطُوا بعقولهم إلى أحطِّ المستويات: نادوا شركاءكم الذين زعمتموهم

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 197/8.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 222/9.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223/9.
(4) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل: 283/2.

أولياءَ، ثُمَّ تعاونوا أنتم وهم على كيدي، وإلحاقِ الضُّرِّ بي من غير انتظارٍ أو إمهال، فإنِّي أنا معتزٌّ باللّه، ومُلتَجِئٌ إلى حِماهُ، ومن كان كذلك؛ فلن يخشى شيئًا من المخلوقين جميعًا، وهذا نهايةُ التَّحدي من جانب الرَّسولِ ﷺ لهم والحطِّ من شأنهم وشأن آلهتهم(1).

فحاصلُ المعنى: استنجدوهم إلى إضراري وكيدي، ولا تؤخِّروني، فإن كانوا آلهةً؛ فسيظهر فعلهم(2).

وحكمةُ مُطالبتهم بهذا أنَّ العقائدَ والتَّقاليدَ الموروثة تتغلغل في أعماق الوجدانِ، حتَّى يتضاءلَ دونها كلُّ برهانٍ، ويظلَّ صاحبها مع ظهورِ الدَّليل على بطلانِها، فيتوهَّم أنَّها تَضُرُّ وتنفعُ، وتُقَرِّبُ من اللّه وتشفع، فطالبهم بأمر عمليٍّ يَسْتَلُّ هذا الوهمَ من أعماق قلوبهم، ويمتلخ الشُّعورَ به من خبايا صدورهم، وهو أن يُنادوا هؤلاء الشُّركاء نداء استغاثة واستنجاد لإبطال دعوة الدَّاعي إلى الكفرِ بها، وإثباتِهِ العجزَ لها، وبَذْلِ الجهد فيما يَنْسبونَ إليها من التَّأثير الباطن، والتَّدبير الكامن الذي هو عندَهم أمرٌ غيبيٌّ، يدخل في معنى الكيد الخفيِّ، فإن كان لها شيءٌ ما من السُّلطان الغيبيِّ في أنفسها أو عند اللّه تعالى فهذا وقت ظهورِهِ، فإن لم يظهر لإبطال عبادتها وتعظيمها، ونصر عابديها ومعظِّمي شأنها، فمتى يظهرُ وينتفعون به؟ وهم منكرون للبعث(3).

نكتةُ إضافة الشُّركاء إلى ضميرهم:

بيانُ أنَّهم شُركاءُ في زعمهم وتصوُّرهم لا أنَّهم شُركاءُ على الحقيقةِ

قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾ سمَّاهم (شُركاء) من حيثُ إنَّ لهم نسبةً إليهم بتسميتهم إيَّاهم آلهةً وشُركاء للّه(4)، أي: (من جعلتموهم شركاءَ للّه)، فالإضافةُ لأدنى ملابسة، فالشُّركاء الذين جعلتموهم شركاء، هُم شركاء في زعمكم أنتم(5).

(1) طنطاوي، التَّفسير الوسيط للقرآن الكريم: 456/5.
(2) ابن عطية، المحرَّر الوجيز: 489/2.
(3) المراغي، تفسير المراغي: 143/9، ومحمد رضا، تفسير المنار: 529/9.
(4) ابن عطية الأندلسي، المحرَّر الوجيز: 489/2.
(5) محمد أبو زهرة، زهرة التفاسير: 3036/6.

دلالةُ العطف بـ(ثُمَّ):

بـيـانُ عِـظَـمِ التَّحدِّي الذي يَحِقُّ لصاحبه أن يتمدَّح به

لَمَّا كان هذا التَّحدِّي تحدِّيًا عظيمًا يحقُّ لفاعله التَّمدُّحُ به، نَبَّهَ عليه بأداة التَّراخي، فقال: ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾ أي: جميعًا أنتم وهم، وأنتم أكثرُ من حَصى البطحاء وَرَمْلِ الفضاءِ، وأنا وحدي[1].

دلالةُ الجمع بين الأمر والنَّهي:

الأمرُ والنَّهيُ في قولِه تعالى: ﴿كِيدُونِ﴾ ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ للزِّيادة في تأكيد التَّعجيز[2].

معنى الفاء في ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾:

التَّفريعُ على الأمر بالكيد بعدم الإنظار تأكيدًا للتَّحدي

وقولُه: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ تفريعٌ على الأمرِ بالكَيدِ، أي: فإذا تمكَّنْتُم مِن إضراري، فأعجِلُوا، ولا تؤَجِّلوني[3].

دلالةُ النَّهي في ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾:

التَّعريضُ بأنَّه سيغلبهم وينتصر عليهم

في هذا التَّحدِّي تعريضٌ بأنَّه سيَبْلُغُهم، وينتصرُ عليهم، ويستأصلُ آلهتَهم[4]، وقد تحدَّاهم بأتَمِّ أحوالِ النَّصر، وهي الاستنصارُ بأقدر الموجودات في اعتقادهم، وأن يكون الإضرارُ به خفيًّا، وألَّا يتلوَّمَ له، ولا ينتظر، فإذا لم يتمكَّنوا من ذلك؛ كان انتفاؤه أدلَّ على عجزِهم وعجز آلهتهم[5].

التَّوجيهُ البلاغيُّ للقراءات المتواترة في ﴿كِيدُونِ﴾ و﴿تُنظِرُونِ﴾:

جوازُ حذْفِ الياء في الكلام مُراعاةً لتشابه الفواصل

قرأ أبو عمرٍو ونافع ﴿كِيدُونِۦ﴾ بإثباتِ الياء في الوصل، وقرأ ابنُ كثير وعاصم وابن عامر وحمزةُ والكسائيُّ ﴿كِيدُونِ﴾ بحذف الياءِ في الوصل والوقفِ[6]، قال أبو علي: "إذا أشبهَ الكلامُ المنفصلَ،

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 197/8.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 223/9.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 223/9.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 223/9.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 223/9.
(6) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 184/2.

أو كان منفصلًا؛ أشبهَ القافيةَ، وهم يحذفون الياء في القافية كثيرًا، قد التزموا ذلك"[1]، فحذفَ الياءَ بناءً على تشابُهِ الفواصلِ، والمثْبِتون على الأصل.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الْخِدَاعُ وَالْكَيْدُ وَالْمَكْرُ:

الخداعُ: إظهارُ أَمْرٍ للآخرين مع إضمَارِ خلافه[2]، ولا يلزم مِنْهُ أن يكونَ بعد نظر وتدبُّرٍ، ولذا يُقال: خدعَهُ في البيع؛ إذا غشَّهُ، ولو كان ذلك بديهَةً مِن غير فِكْرٍ سابقٍ، بخلاف الكَيْدِ فإنَّه - في حقِّ المخلوقِ - لا يكونُ إلَّا بعد تدبُّرٍ وفِكْرٍ ونظَرٍ.

الخداعُ إظهارُ ما يُخالف الإضمارَ، والمكرُ ما يكون بعد نظرٍ وتَفَكُّرٍ، والكيدُ آكدُ منهما وأشدُّ

وأمَّا المكرُ؛ فهو مِثْلُ الْكَيْدِ في كَوْنِه - في حقِّ المَخْلُوق - لا يكُون إلَّا بَعْدَ فِكْرٍ ونَظَرٍ، إلَّا أنَّ الْكَيْدَ أقوَى مِنَ الْمَكْرِ[3].

الإنْظارُ والإمهالُ والتَّأْخير:

الإنظارُ: تَمْكِينُ الشَّخْصِ من النَّظرِ وتأخيرُهُ لينظُرَ في أمرِه[4]، وهو مقرونٌ بمقدارِ ما يقعُ فيه النَّظر، وجاءَ الإنْظارُ مَعَ ما فيه مِنْ سُوءِ المُنْقَلَبِ، كالعَذابِ، واللَّعْنَةِ، قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ [البقرة: 162]، والإمهالُ مُبهمٌ، وقيل: الإنظارُ، والإمهالُ تأخيرُهُ ليُنْهي ما يتكلَّفُهُ من عمله[5]، ويكونُ مقرونًا بالتَّهديد قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطَّارق: 17].

الإنظارُ تأخيرٌ تحت المراقبة، والإمهالُ تأخيرُ تهديد

والتَّأخيرُ: إبعادُ الفعلِ عن الآنَ الكائِن[6]، أي: تَغييرُ التَّوقيتِ

(1) ابن عطية، المحرَّر الوجيز: 489/2.
(2) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 152.
(3) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 213، 508، والكفوي، الكليات، ص: 771.
(4) الكفوي، الكليات، ص: 906.
(5) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: 80.
(6) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص: 89.

المَوْضوعِ مُسبَقًا، وهُو عامٌّ في الوَقْتِ، أمَّا الإنْظارُ؛ ففيهِ تَأخيرٌ معَ عُذْرٍ، ولا عَلاقَةَ له بِوَقْتٍ موضوعٍ أو مُحَدَّدٍ، كقوله ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: 280]، فلا تَوقيتَ مُحَدّد لِبُلوغ المَيْسَرَةِ، فالإنظارُ تَأْخيرٌ مَخْصوصٌ؛ فهو تأخيرٌ تحت المراقبة، والإمهالُ تأخيرٌ مع التَّهديد.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 15 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-11-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 15 : المجلد الخامس عشر، سورة الأعراف من الآية 164 إلى سورة الأنفال الآية 26.
-1القرآن - تفاسير نحوية -2 القرآن، بديع -3 القرآن، بلاغة -4 القرآن - سور وآيات -5 القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-768-11-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7668393 بتاريخ 2024/01/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»